



فيروس الضغينة له بيئة مختلفة

بقلم : فيصل الزامل

إذا شعر الناس بأن الحاكم خادم لهم كما يقول «اردوغان» دائما للمواطنين الأتراك، ويدعم ذلك بالأفعال، فلن يحقد المواطن على الحاكم، وبالعكس في بلاد عربية تكفي إشارة من ابن الحاكم لمسؤول أمني ضد مواطن كي يختفي من على وجه الأرض، وبالمثل إذا قام الأثرياء بربط نشاطاتهم الاستثمارية بالمشاريع الاجتماعية والخيرية والعمل الإنمائي كما كان يفعل رفيق الحريري فسوف يحبهم الناس، وبالعكس إذا مارس الأثرياء البذخ الاستفزازي في حفلات تبذير وثياب تشهير ومراكب فارهة ليس وراءها إلا كسر قلوب المساكين، فإن الناس ستتمنى لهم الخراب وتنتظر فرصة للانقضاض عليهم.

هذه من سنن الحياة، وإذا غفل عنها الحاكم أو المحيطون به فسيحدث ما نراه من انفجارات اجتماعية، وقد وعى الكويتيون هذه الحقيقة منذ نصف قرن بتأسيسهم للصندوق الكويتي للتنمية لمشاركة الأشقاء والأصدقاء في منافع الثروة الطبيعية التي تفجرت في بلادهم، وعلى نفس المنهج تسابق الأغنياء في الكويت ودول الخليج إلى بذل الأموال من دون قانون يلزمهم بذلك حتى وصلت آثار تلك الأموال إلى أقاصي الدنيا، وبالمثل فعل الحاكم في هذا البلد بتواضعه مع الناس وبساطته في مظاهر الحياة وحتى مظاهر السلطان التي يمكنك أن تراها من مواطن عادي فاز في انتخابات نيابية أكثر مما تراها في أقارب الحاكم.

هذه البيئة الصحية تختلف عن بيئات أخرى يختمر فيها الحقد لسبب واضح، وإذا حاول أحد تصوير الكويت بعكس ما هي عليه فقد ظلم نفسه وأبناءه من بعده، وبذل نعمة الله كفرا وأحل قومه دار البوار.

كلمة أخيرة: شاهد السلطان وهو جالس في أعلى قصره رجلا يكتب على سور القصر من خارجه، فأمر الحرس بإحضاره وأن يقرأوا ماذا كتب، فلما مثل بين يديه كان يرتجف خوفا، قرأ الحرس على السلطان بيت الشعر الذي كتبه هذا الرجل وهو:

يا قصر الشوم واللوم متي

تكون خرابا وينعق فيك البوم؟

التفت السلطان إلى الرجل وأعطاه الأمان على أن يخبره بالسبب الحقيقي لكتابة هذا الكلام، قال الرجل: «يا مولاي، أنا رجل فقير لا أجد طعاما أو ثيابا، أمر على هذا القصر ولا أنتفع منه شيئا، قلت لنفسي لو أن هذا القصر كان أطلالا دائرة، بلا أبواب ولا سكان، لدخلته واستفدت من قطعة خشب ملقاة فيه أشعلها وأستدفئ بنارها أو حجر أسد به الريح عن مسكني».

قال السلطان: «قد أمرت لك بذاك وثيابك وما تحتاج إليه ما دام قصرنا عامرا».

رفع الرجل الفقير يديه إلى السماء قائلا: «اللهم احفظ هذا القصر وأهله من كل سوء».